شعوب الأمة
في مواجهة النظام العالمي

بقلم
مؤمن سحنون



شعوب الأمة في مواجهة النظام العالمي

مقدمة

يعيش العالم اليوم دورة تاريخية تتغير فيها موازين القوى الدولية، وفي قلب تلك الدورة توجد الأمة الإسلامية وشعوبها، بوصف المسلمين هم الحاملين لآخر منظومة قيمية آدمية يمكن أن تحفظ بها الفطرة في وجه التحريفات، وبكون الرقعة الجغرافية للمسلمين تمثل الخزان العالمي للثروات.

وإن هذه الأمة من خلال سنة التدافع، لسائرة للعودة من جديد، إلى الاستقلال بذاتها الحضارية المنبثقة من منظومة قيم الإسلام، وإن هذه العودة التي بدأت بالفعل قد تستدعي مراحل تطور للصراع، بين الحق والباطل، تنتقل فيه من مرحلة لأخرى، وقد تتشابك المراحل فيما بينها.

مراحل الصراع

تعيش شعوبنا واقع احتلال مركب، فبلداننا محتلة، لكنه احتلال داخلي محلي ينوب عن احتلال خارجي أجنبي، يتخفى الاحتلال غير المباشر بالاحتلال المحلي المباشر، بالتالي على الشعوب أن تواجه الاحتلال المباشر بإسقاط رؤوس الأنظمة كمقدمة، ثم إسقاط المنظومات الدكتاتورية التي

أسسها الاحتلال المباشر في بلداننا لحظة خروجه في فترة الاستقلال المزعوم، والتي لا يمثل رأس النظام فيها إلا أضعف حلقة، ثم مواجهة الهيمنة الغربية على بلادنا.. للوصول إلى التحرر الكامل والحرية الحقيقية.

مرحلة: "ارحل!"

بدأت هذه المرحلة منذ اندلاع شرارة الثورة في تونس التي أسقطت رأس النظام بن علي، ثم امتدت لمصر بإسقاط مبارك ثم إلى ليبيا وإسقاط القذافي ثم إلى اليمن وإسقاط علي عبد الله صالح.. وإذا كانت هذه المرحلة قد بدأت في بعض البلدان وكتب لها التوفيق بتحقيق هذا الهدف الجزئي، إلا أنها في بلدان أخرى تمت مواجهتها بأعتى أنواع التوحش والطغيان كما حدث في سوريا، أما في بلدان أخرى فهي لم تبدأ بعد.

ومن المهم إدراك سنة التدافع الدائرة في العالم، إذ أن القوى الكبرى تجهز عتادها يوميا للحروب القادمة، إذ نشهد تدحرج كرة الثلج في عمق العالم الغربي، وقريبا ستنشب الصراعات بين أطراف الدول المهيمنة في النظام العالمي، في محاولة لفرض واقع غير أحادي القطب تسيطر عليه أمريكا، إلى متعدد الأقطاب تنفك منه أحلاف جديدة، بالتالي نحن نعيش فرصة مواتية لأصحاب مشاريع التحرر في أمتنا، إذ أن أنظمة الطغيان الحاكمة في بلادنا المعتمدة بالأساس على دعم وإسباغ شرعية من الخارج ستضعف لاهتمام تلك الدول بصراعاتها الوشيكة، لذا ينبغي الإعداد بجدية لهذه المرحلة، مسترشدين بدروس الثورات السابقة لتجاوز أخطائها .

مرحلة إسقاط منظومات الدكتاتورية المحلية

إن إسقاط رأس النظام لا يكفي في الواقع لتحقيق التغيير إلا بإسقاط النظام ذاته الذي يمثل رأس النظام أضعف حلقاته، فمنظومات الاستبداد المحلي الجاثمة على صدور شعوبنا -سواء كانت ملكية أو رئاسية أو..- تمثل حجر الأساس في إدارة الدول بطريقة تتحقق بها مصالح الاحتلال غير المباشر.

فأمنيا تعمل منظومات الاستبداد المحلي على تقييد الحريات بما يخدم عدم تهديد مصالح الغرب، وعسكريا تعمل على حماية وضع التبعية وعلوية القوانين الوضعية الجائرة على رقاب الناس، ويمتد استبدادها حتى للتعليم الذي تفرض من خلاله برامج الغرب على أبنائنا، والإعلام الذي يعمل على تخدير شبابنا، واجتماعيا عبر ضمان بقاء حالة من الغنى المطغي أو الفقر المُنسي، بحيث تعيش بعض الشعوب داخل الحدود الاستعمارية في فقر مُنس، ينسيها فكرة التغيير ويلهيها في مفرمة توفير ضرورياتها عن قضايا التحرر ومشاغل أمتها، وتعيش الأخرى غنى مطغيا يصرف بعض سكانها عن هموم الأمة نحو مواسم الفجور، بينما جغرافيا كل هذه الشعوب تعيش على نفس المساحة الممتدة وتواجه نفس المصير، لكنه التقسيم الاستعماري الخبيث الذي حكم على بلداننا بالتخلف والشتات والتبعية.

وللأسف وصلت بعد الثورات بعض النخب غير المدركة لحقيقة الصراع، والتي تصالحت مع منظومات الاستبداد المحلي، وأضفت عليها شرعية مزيفة، فاستغلت الدولة العميقة هذا الطرح للتخفي بتلك النخب حتى

تمتص الفورة الشعبية، ثم انقلبت عليها لتعيد بسط استبدادها على الشعوب من جديد.

وما هذا المقال إلا تذكير بضرورة مواجهة منظومات الاستبداد المحلي وإسقاطها، وتجاوز آثار سياسة المصالحة التي انتهجتها نخب ما بعد الثورات مع منظومات الاستبداد، حتى تقطع الشعوب مرحلة هامة ومركزية في طريق الحرية، مرحلة ممهدة لمواجهة الهيمنة الغربية على بلادنا.

مرحلة مواجهة النظام العالمي

وإذا سقطت منظومات الاستبداد في بلد أو في عدة بلدان، فإن العدو سينزل مباشرة للمعركة، لمحاولة إعادة بناء ما تهدم من ركائز الاحتلال، وفي هذه المرحلة -كما في بقية المراحل- سيعمل على استخدام من ينحازون له من النخب العسكرية والأمنية، ورموز التوجيه الفكري والثقافي المتبنية للتغريب، والدعاة الذين باعوا دينهم للمحتل بثمن بخس، أو الذين تجاوزهم الواقع، وسيحاول تخذيل المسلمين بكل طاقة ممكنة، برعاية التوجه التوافقي والالتفاف على إرادة أصحاب المشاريع والجماهير.

إن الصراع في هذه المرحلة سيكون شاملا، تستعمل فيه كل وسائل الترهيب والترغيب، ما يستوجب إعدادا إيمانيا ونفسيا وفكريا على قدر مستوى المعركة .

ويوم تسقط الهيمنة الغربية والشرقية على بلادنا، يومها ستتنفس هذه الأمة الحرية، وإن ذلك اليوم قد يكون قريبا وقد يعمل ويبذل لبلوغه أبناء بررة لهذا الدين، يمهدون بتضحياتهم وجهودهم ودمائهم الطريق لمن بعدهم، للغاية النبيلة والقضية المركزية، قضية تحرير كل شبر من الأمة تحررا كاملا من كل القيود التي مورست عليها.

خاتمة

إن طريق التحرر اليوم ينادي كلَّ فرد من أفراد الأمة، ومكان كل مسلم اليوم في الصف ضرورة جد ملحة، وإننا لسنا مخيرين في خوض المعركة، فالعدو الصائل الأجنبي، المتستر بالمحتل المحلي، لم يترك للمسلمين حرية دينية ولا حقوقا دنيوية، إنهم من يحكمون بأن نبقى أفقر الأمم بينما نعيش على أغنى أرض، يحكمون بأن تسفك دماؤنا على مرأى ومسمع العالم في فلسطين وسوريا وبورما وتركستان الشرقية وغيرها، وبأن تقيد العقول ودعاة الرشاد في غياهب السجون، يحكمون بأن تذهب أموال المسلمين في مهرجانات الترفيه وأسواق الكرة العالمية، بينما يجوع أطفال ونساء المسلمين، إنهم يحكمون بأن يأمن الكيان الصهيوني بينما يعيش أبناء هذه الأمة في المخيمات يأكل عظامَهم بردُ الشتاء وتصليهم حرارة الصيف وينهشهم الجوع بينما ينعم الصليبيون في القواعد الأمريكية في المنطقة بالرفاهية ويُشترى لهم الخنزير وتقام بينهم حفلات الشذوذ على جزيرة العرب وفي بلاد المسلمين، الجزيرة التي قال فيها النبي الكريم: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)).

إنها معركة وجود، معركة تعيد للأمة حياتها، وفي سبيل هذه الغاية الشريفة يهون كل شيء..

إنها معركة طويلة.. يجب أن لا يتردد كل فرد في الأمة في خوضها. بدايتها يجب أن تكون بامتلاك جناحين اثنين: الوعي بمعالم هذه المعركة ثم الحركة بذلك الوعي؛ والوعي المقصود يتأسس على ركيزتين مركزيتين: ركيزة الفهم العقدي وركيزة التصور السليم للواقع، وأي اختلال في هذه الركائز يولد اختلالا في ما سيليها.

ثم التحرك بخوض المعركة بمنهج سليم.

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج:40].

﴿ يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:7].

مؤمن سحنون